مجمع مصر واللغة العربية

ألقى الأستاذ الدكتور منصور فهمي ، كاتب سر مجمع اللغة العربية في مصر ، في الساعة السادسة والنصف من بعد ظهر الأربعاء ٣/١٠/١٩٥٦ في مدرج الجامعة السورية ، المحاضرة التالية في (مجمع مصر واللغة العربية)

سادتي

دعا معالي وزير المعارف حضراتكم الى سماع تلك المحاضرات العامة ، فأمس الأول ألقى الدكتور منير العجلاني محاضرة قيمة عن رابطة اللغة والأمة ، وبالأمس ألقى صديقي وزميلي الدكتور طه حسين محاضرة عن تيسير القواعد في اللغة ، وما ينبغي أن يتخذ ليتعلم المتعلم في سهولة ويسر من غير أن تضيع سلامة اللغة ، أو يضيع جوهر اللغة .

واليوم بما أني جئت الى مؤتمر المجامع هنا ، وجئت من قبل المجمع اللغوي المصري ، رأيت من الخير أن أتكلم بشيء من الإجمال عن أهداف مجمع مصر في خدمة اللغة العربية ، وعن نزعاته في هذه السبيل .

مهما بدأب العلم أيها السادة في معرفة نشأة اللغات وأطوارها وتوزيعها في الآفاق بين الأمم ، ومهما يكن من تحليقه في هذه الناحية ، فستظل ثمة حجب تحول دون إدراك الانسان للأسباب البعيدة الدقيقة التي حولت قوة التفكير ، وخلجات الوجدان ، وطاقات النفوس ، الى أصوات مسموعة ، ذات جرس ، تبدو عند الإنسان تارة مجلجلة ، أو هامسة ، وتارة تبدو عند غيره من أنواع الحيوان مهمهمة ، أو مغردة ، أو عاوية ، الى غير ذلك من أنواع الأصوات الدالة على شيء معين في عالم الظاهر ، أو في عالم الباطن . وقد تستدرجنا النظرة العابرة الى اللغات والأصوات من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الناحية الى فروض والى نظريات . وتشعرنا بضرب من اللاورائية من تلك الماورائية المحيرة كثيراً ، ويؤدي هذا الضرب من الماورائية ، ومن عميق التأمل في ذلك ، الى الاقرار بعجز العقل عن ادراك كنه كل شيء ، ثم الى نوع من تسبيح الله يُفرض على نفوس المتأملين من هذه الناحية .

نحن لا نعلم كيف كانت اللغات وكيف نشأت ، وكيف عُلِّم الانسان اللغات وكيف أُلهم الكلام .. لا ندري .. العلم عاجز عن إدراك ذلك ، وليس من شأني اليوم أن أتناول هذا اللون من التفكير الفلسفي ، وحسبي مانعاً أن اجتماعنا قد أقيم لدراسة محدودة للغتنا المعينة ، في موقفها المعين ، في مسيرها ، وتقدمها ، واتصالها بميدان الحياة العصرية العملية ، فلا ينبغي إذن أن ينأى حديثي عما كان لمجمع مصر من نشاط ، وأهداف ، لخدمة لغتنا العزيزة .

ومن المسلم به أن اللغة العربية لم تقف دون حراك ، حيال الحركة العلمية ، والحركة الحضارية الحديثة ، فلقد هيأت لها قابليتها ومرونتها ، أسباب البقاء الطويل ، فهي تكسب وتغنم من حرص أهلها على دعم نهضتهم بالعلم ، وبالثقافة الرفيعة ، وما لها من أطيب الأثر في تنشيط الأذهان وإصلاح البيان .

وبدت بوادر هذا النهوض في مصر وفي بلاد العروبة في شتى الصور ، فيما يبحث ويبعث من تراث تليد ، وفيما ينشر أو يستحدث من تفكير ، الى غير ذلك مما تتسامى به المدارك ، وتعلو به إنسانية الإنسان .

وترجع ملامح هذا النهوض العربي الى عهد تترامى ذكرياته وعهوده عند قرن من الزمن ، فظهرت البشائر في مصر على يد من فقهوا لغة الضاد ، وحذقوا بعض اللغات الأجنبية ، فالتزمت من بينهم جماعة بنقل طائفة من كتب الغربيين في مختلف العلوم والفنون ، وأغرى ذلك بالتنقيب في المعاجم ، وفي كتب الأدب ، لانتقاء الألفاظ العربية ، أو لوضعها وتفصيلها ، حتى تصبح قالباً محكماً ولباساً وفاقاً ، لمختلف التصورات الذهنية التي جاءت بها الحضارة الراهنة . وكان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

من أثر ذلك أن نهضت الفصحى . إلا أن التقدم من الناحية الأدبية كان أرحب خطى ، وأكمل مظهراً منه في لغة العلوم . وانها على أية حال في نهضتها العلمية قد تعالت على لغة الدواوين ، التي كانت في حالة يرثى لها وقتذاك . ولعل من دواعي تخلف اللغة العلمية عن اللحاق بلغة الأدب ، أن طائفة من العلوم والمعارف كانت تعالج في معاهد الدرس بلغات أجنبية ، إما لفقر في كفاية التدريس من أهل البلاد ، وإما عن هوى في نفوس المسيطرين الأجانب في نشر لغاتهم ، وثقافاتهم جميعاً بلغاتهم ، وكان للأمرين كليهما أثره السيئ في تعويق المصطلحات العلمية عن اندماجها في لغة الضاد .

لكن سرعة التتابع لشتى المخترعات ، كان من شأن جريانه الشديد من بلاد الغرب صوب البلاد العربية ، أن يدفق في مختلف أسواقها طائفة من الألفاظ والتراكيب الأجنبية ، جرت في الكتابة وفي أحاديث الناس ، ومرافق الحياة . ورافق ذلك التدفق الغامر المخيف دعوة لنفر من المستعمرين أو من السطحيين ، أو ممن في قلوبهم مرض ، إذ كانوا جميعاً يتجاوبون لإضعاف لغة الضاد وتفتيتها ، لتحل محلها في بلاد العروبة لهجات دارجة ، لكي تصير بعد ذلك الى لغات متباينة .

ولقد ترتب على بشائر هذا الانبعاث القومي ، والفكري منذ قرن ، وعلى الخوف من سيل المصطلحات والتراكيب الأجنبية الجارفة ، وعلى دعوة الدعاة الى تفتيت اللغة ، أن تجاوبت همم ذوي الغيرة من العرب ليفكروا في اتخاذ الوسائل لرفعة لغتهم الى المكانة اللائقة برباط العروبة المتين ، ولغة البيان المكين . ومن ثم أسفر الأمر عن فكرة المجامع العربية في دمشق وغيرها ، الى أن أنشأت مصر مجمعها الرسمي الحالي ، فعقد أولى جلساته في آخر كانون الثاني سنة ١٩٣٤ ، وحدد أغراضه فيما يلي :

« أن يحافظ على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

في تقدمها ، وملائمة على السموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وأن يقوم بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينظم دراسة علمية للهجات العربية الحديثة ، وأن يبحث كل ما له شأن في تقدم اللغة . »

هذا هو النص الأساسي في تأليف المجمع المصري . وقطع المجمع حتى عامنا هذا اثنتين وعشرين دورة ، وقد عقد في كل دورة نحو أربعين جلسة ، الى جانب الجلسات العديدة للجان المتعددة فيه .

أخذ المجمع يعمل في تحقيق الأغراض التي أُنشئ من أجلها ، فتصنفت جهوده أصنافاً يمكن تلخيصها في ستة أو سبعة هي :

أولاً — تطويع مادة اللغة العربية لمسايرة مستحدثات العلوم والفنون .

ثانياً — درس المصطلحات العلمية والفنية درساً دقيقاً مستأنياً .

ثالثاً — تيسير دراسة النحو والصرف والإملاء .

رابعاً — تشجيع الانتاج الأدبي .

خامساً — بحث النصوص القديمة على مختلف أنواعها .

سادساً — دراسة اللهجات العربية .

سابعاً — تيسير الكتابة (الخط) .

هذه هي أصناف جهود مجمع مصر ، ولعلي ، أيها السادة ، لا أستطيع أن أعرض عليكم مفصلات من هذه الأصناف التي تمثل محاولات المجمع وجهوده ، فذلك قريب ميسَّر لمن يريد ، لكن أود أن أقف قليلاً عند اتجاه المجمع في تطويع مادة اللغة ، لأقرر أنه قد سار سيراً سليماً الى نزعة التيسير في متن اللغة وفي قواعدها ، فدعا الى قياسية التضمين ، وأجاز نوعاً من الألفاظ المولدة ، وأباح التوليد والنحت عند الضرورة القصوى ، وأخذ بالاشتقاق من أسماء الأعيان ، وجعل اسم الآلة قياسياً ، وكذلك المصدر الدال على الحرفة ، وأخذ بقياسية جموع التكسير ، وأجاز النسب الى الجمع ، وجعل المصدر الصناعي مقيساً ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ودعا الى تكميل المادة اللغوية التي لم تستكمل في المأثور من اللغة ، وأيد حق المحدثين في الوضع اللغوي ، الى غير ذلك من الضوابط والأقيسة ، التي وردت موضحة في محاضر المجمع ونشراته ، وكان يعتمد في ذلك على أقوال أفاضل اللغويين المتقدمين المعلومين .

ولا يسعني في موقفي المحدود بسط المفصل ، أو تفصيل المجمل في هذه الدراسات اللغوية التي أثمرتها جهود المجمعيين في مصر . على أنني لمناسبة قولي المجمل في تطويع مادة اللغة ، أصارح برأي بينكم فيما أحرص أشد الحرص عليه في نهضتنا المشتركة المتوثبة ، ويبدو أن الإيمان بقيمة لغتنا ، والوثوق بخصبها هما أرسخ دعامة تقام عليها خدمتها ، والمحافظة على سلامتها . وما هذا الإيمان وهذا الوثوق إلا نتيجة ملزمة لما يلهمه الواقع . فمنذ عرف للغة العربية منظوم أو مأثور أو منثور من القول في خلال نحو ستة عشر قرناً ، يتبين للمتأمل أنها لم تعجز قط عن تحمل أدق المعاني النفسية ، وعن الإفصاح عن نقائضها في صورة تدعو الى الإعجاب ، ولم تعجز كذلك عن تحمل المعاني التي جلبتها حضارات قديمة ، كان لها أثرها في رقي البشر . وحسبنا نظرة الى ما نقل اليها من فكر أهل العلم والأدب والفن من الهند ، واليونان ، والفرس ، والروم ، والى ما أضافه من دونوا ونقلوا من مصطلحات ، حتى نقرر أنها لغة تدعو الى الثقة حقاً . وعلى ذلك فمهما تكاثرت المحدثات فان ثقتنا بلغتنا تهيب بنا ، أيها السادة ، الى أن نستقبل كل ما يجد ، بسلاح من صميم مادتها ، يكفل لها الفوز في مجاراة التقدم العصري .

وانه لا يضيرنا في سبيل ذلك أن نتوسع في مقاييس اللغة ، ونستزيد من صنعها ، لأن ذلك أفضل للغة ، وأبقى عليها من أن يقتحم سياجها ألفاظ غريبة لا تنسجم مع طبيعتها ، ولا تلبث أن تسري في جسدها ، وتتكشف حول مادتها ، سريان الداء المميت ، والتكشف المقيت القاتل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إننا اذا استخدمنا الى جانب التوسع في الأقيسة والى جانب الثروة الضخمة ، والمادة الغزيرة ، ما توارثناه من ذوق عربي ، وسليقة مواتية ، يصح أن يمثلها صفوة من أهل التفكير واللغة في المجامع العربية ، فمن المؤكد ان ازدهار لغتنا من ذاتيتها ومن طبيعتها لموشك قريب . لا تحتاج لغتنا الى الأساليب أو الى العبارات الأجنبية ، إن بامكاننا دائماً أن نطورها من مادتها أو من أساليبها المختلفة .

على أنه مهما يكن من إيماننا بقدرة لغتنا على استيعاب المحدثات ، فان ضرورة التساند من أجل سلامتها قد تستوجب تعبئة جميع القوى الفعالة ، لكي تسخو الحكومات العربية بسلطاتها وامكانياتها ووسائلها ، ويزع الله بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

إنني لا أجهل أيضاً أنه لا يروق بعض ذوي الرأي أن تتدخل السلطات في مدى حريات الناس عند استخدامهم ألفاظاً دون أخرى ، ويعتمدون في ذلك على كفالة الذوق العام في الجماعة بردع من ينحرف عن المألوف ، وعن السوبة المتبعة .

ولهذا الرأي قيمة وقدر ، لولا أن الذوق العام قد يضل ويجحد وينحرف ، فيصبح بحاجة الى التقويم والهداية .

والناس وإن خلقوا أحراراً فان حرياتهم قد قيدتها مُثُل وحدود ، ومن الخير أن ترد الأمور الى مستوياتها في المثل الرفيعة ، وفي الحدود السديدة المنيعة . ومهما يكن للأفراد من حق الدفاع عن حرياتهم ، فان للجماعات ومظاهر هذه الجماعات أن تحاسبهم لصالح المجموع .

ولعل أكثر الدساتير العصرية في زمن الناس الحاضر يقيد من حرية الأفراد لصالح الجماعات . واللغة ، وهي المرفق الأكبر الممثل للمجموع ، لها حق الحماية على الحكومات ، بردع الحريات التي لا ترعى للغة في بيئتها قدساً ولا كرامة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتبدو مظاهر الاستخفاف في بعض ما ينشر أو يرسل ، في اللافتات أو المتاجر ، أو المصانع أو غيرها من حياة الأسواق العامة ، فاذا الألفاظ الأجنبية تستخدم وتشاع ، وكان من اليسير أن تستبدل بها ألفاظ عربية مألوفة سائغة ، بعد أن وجدت في البلاد مجامع لغوية تتأهب لتقديم خدماتها لكل من تعنيه سلامة لغة الضاد . ونحن إذا خشينا وفرة المصطلحات والتعبيرات الأجنبية فذلك لأن تكاثرها قد يجعل لها لونا من السيادة ، فاذا سادت فان سيادة اللغة القومية بين أهلها تصبح وهماً من الأوهام أو أسطورة من الأساطير ، ويتحقق عندئذ نوع من الاحتلال والاستيلاء البغيض على الذهنية العربية نفسها .

ولعل من أوجب وأيسر ما تؤازر به الحكومات ، أيها السادة ، في خدمة اللغة ، أن تبدي وزارات التعليم ومعاهدها ، حرصاً على حسن استعمال اللغة العربية والترويج لألفاظها في مختلف المدارس ، وفي بواكير المراحل ، وأن تعنى في مختلف الوزارات والمصالح ، كلٌّ ضمن اختصاصها ، بتحري خدمة اللغة . وإني لست في دعوتي هذه خيالياً أو نظرياً كما يلوّح البعض أحياناً ، ولست كذلك أول من دعا اليها ، فقد سبقني الى ذلك كثيرون من معاصرين وغير معاصرين ، أذكر منهم العلامة المرحوم الشيخ أحمد الاسكندري ، حين ذهب الى بغداد لحضور المؤتمر الطبي سنة ١٩٣٨ ليمثل المجامع اللغوية أو المجمع اللغوي المصري والهيئات التي تعنى باللغة ، فدعا الى تخليص لغة التدريس والتأليف من كلمات أعجمية يمكن أن يقوم مقامها اللفظ العربي ، متوخياً رياضة السليقة العربية وتربية اللسان الفصيح عند النشء الجديد ، فقدم للمؤتمرين على سبيل المثال مشروعاً لمصطلحات الكيمياء .

ولا أبغي التفصيل في الدخول في مقترحات الشيخ فلذلك مقام غير هذا المقام . فاذا كان ما نزع اليه الشيخ وارتآه لم يصادف في حينه وظروفه ما هو خليق به من تحقيق وتنفيذ ، فان النهضة العربية الحاضرة والعزة القومية اليقظة ، تحفز المخلصين إلى اعادة النظر فيما امتنه الشيخ الاسكندري ، وما عسى أن نراه من اتخاذ هذه الخطة إيثاراً في لغة العلم والمعرفة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وربما كان بعض من اشتغلوا بالعلوم من واضعي المعجمات والمصطلحات ، مثل زميلنا الأستاذ العلامة الأمير مصطفى الشهابي ، يقدر هذه النزعات تقديراً تحيط به اللباقة والاعتدال المشكور ، فقد أشار في بعض أحاديثه إلى كامل الرضا عمّا قدمه مجمع مصر من قياسية بعض الأوزان ، والأخذ بالتوسع فيها ، مما أتاح للأمير الشهابي صوغ طائفة كبرى من المصطلحات الزراعية وآلاتها . وان المجمع إذ فتح الباب لمختلف النزعات كالاتجاهات لوضع مصطلحات العلم وضعاً عربياً سليماً فانما كان ذلك نزوعاً منه الى شحذ السليقة العربية ، وابتعاث قواها . وان نتائج سعيه في هذا السبيل لا تقف عند ذلك فحسب ، وإنما تتعداه الى خدمة الفكر ، والفهم ، والذهنية العلمية لتحديد الحقائق ، وتصويرها في قالب من اللفظ العربي المفهوم ، وذلك لأن حسن الفهم يتوقف على حسن التصور ، ولا يكون التصور الحسن إلا ثمرة الفهم من اللغة التي انطبعت في النفس ، وجرت على لسان القوم ، حين تؤدي الكلمة صورة الشيء على وجه يمثله من قريب جداً ، أو من بعيد . وجلي أن التوسع في الأقيسة وفي الاشتقاقات والسير في مسالكها لأدنى موجب يلهمه الذوق ، لا بد أن يزيد في ثراء اللغة ، ويمد رصيدها بكلمات عربية ، ويعين على تنميتها في التوالد والتكاثر ، حتى تحفل لغة الضاد بثروة واسعة تغبطها عليها اللغات .

ومع ما لنا من حرص في هذا التوسع ، فقد أجاز المجمع اللغوي المصري التعريب عند الضرورة القصوى ، على أن تكون رخصة التعريب بعد عناء واستقصاء واستنفاد لوسائل الاشتقاق والمجاز ، بل بعد الانتفاع بما يلازم الصور المعنوية القوية من نواح ، أو صفات ، أو قرائن أو ملابسات .

ومن أهم المبررات في نزعة التشدد عند رخصة التعريب ، اسراف المتساهلين وانطلاقهم في تبادل الكلمات والتراكيب والأوضاع اسرافاً لا يقف عند حد ، وكذلك إسرافهم في تجنب المشقة وبذل الجهد في التنقيب عن الكلمات العربية ، أو التقاطها من كنوز الماضي ، وملهمات الحاضر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

على أن حرص المجمع على تطويع اللغة ، لاستتباب المصطلحات العلمية والحضارية ، لم يحل دون أن يرى البعض فتح الباب واسعاً على مصراعيه ، لكي تدخل منه مصطلحات العلوم والحياة الحضارية الجارية ، بصيغها الأعجمية ، محتجين في مذهبهم بما لتلك الكلمات من وفرة لا تقاوم ، وبما لها من تكاثر يتزايد بتتابع الكشف والاختراع ، كما احتجوا بما لها من شمول وعموم بين المثقفين وأهل العلم في كل مكان ، وبما لها من ترابط وما بينها من تناسق واتصال . وهؤلاء يتناسون أن إلف الألسن لهذه الكلمات والمصطلحات الأعجمية يرجع الى سياسة الاستسلام لها ، والتفريط في واجب الاستعاضة عنها ، وحين تتساند الجهود وتصلح العزائم ، وتتلاقى الكفايات للمقاومة ، فلن يتعاصى على الصفوة المثقفة أن تنمي لغة العلم في الكيان العربي ، وتزودها بما هي في حاجة اليه من رصيد ، مهما كبر هذا الرصيد . واذا كنت أبدو مع كثرة من زملائي ، بحذر من سيل الألفاظ الأجنبية ورغبة عنها ، فانما مرد ذلك الى الخشية من تهاون يجر الى تهاون ، واهمال يدعو الى إهمال ، فتتلاشى اللغة العربية نفساً في نفس ، وتهتز قواعدها بعد أن رست ورسخت ، وعلا بناؤها ترفرف عليه رايتها في رحيب الآفاق ، على مدى القرون . واني لا أعدو الصواب أيها السادة إذا قدرت أن مصير العروبة يتضامن مع مصير لغتها ، ففيها تتركز مواهب الأمة العربية وأحاسيسها ، ومفاهيمها وانتفاضاتها .

ولو خرجت هذه الأمة على لغتها فانها توهن بذلك معنى العروبة وتزحزحها عن طريقها المقدر لرسالتها في ضريبة التقدم الانساني ، وتنزلها عن مكانتها من العزة والكرامة . فالدعوة الى رفعة اللغة ، هي دعوة الى رفعة القومية العربية ، والانحراف عن ذلك هو انحراف عن مطالب الوطن العربي الأكبر ، على أن مقاومة المجمع المصري للصورة الأعجمية في المصطلحات ، لم تحل دون تقديره للتسامح المفيد ، فحرصه على انتفاع المثقفين العرب باللغة الشائعة بين أهل الاختصاص العلمي ، جعله يوصي بحصر اللفظ الأعجمي بين هلالين بجانب اللفظ العربي المقترح ،

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فأرضى بذلك غرض اللغة من السلامة ، وحاجة من يقدرون مكانة الشيوع للفظ الأجنبي بين المختصين من أهله في العصر الحاضر .

على هذا النحو ، تناول المجمع قرابة ثلاثين ألفاً من المصطلحات العلمية والفنية والأدبية ، مما يستوعب حاجة التعليم الثانوي كله ، ويتجاوزها الى الدراسات في المعاهد العليا والجامعات .

أيها السادة ، أبحت لنفسي أن استأني قليلاً عند جهد المجمع في تطويع مادة اللغة ، في تطويع هذا الصنف من جهوده ، ولن أشير الى ضروب أخرى من جهوده إلا إشارات عابرة ، فأما جهده في توخي التمحيص لما يفد الينا من الكلمات العامة في المتجر ، والسوق ، والبيت فهو جهد يمثل التريث التقليدي للمجمعيين ، فرب كلمة تقتضي طويل التنقيب لمعرفة مأتاها ومنشأها وأطوار تقلبها ، وانبساطها أو انقباضها عن احتمال المعاني المختلفة ، ولا يعرف الصبر على ذلك إلا من كابد هذا الجهد المرير .

ولما أراد المجمع البحث في قواعد الصرف والنحو والإملاء ، رأى أن يلتزم مبدأ انتهى اليه في سنة ١٩٤٥ ونصه : « ان كل رأي يؤدي الى تغيير في جوهر اللغة وأوضاعها العامة لا ينظر اليه ، وان المهمة هي تيسير القواعد » هذا هو النص . فالأمر في ذلك لا يعدو إذن أن يكون محاولة لاختصار الطريق ، وترجيحاً لبعض الآراء التربوية على بعض ، وقد يروق لبعض الناس رأي منها فيخالفه ، أو ربما يخالف البعض هذا الرأي الى رأي آخر ، ولكل شيخ طريقته ، ومنهاجه ، ولكل طالب قوته وطاقته فيما يتعلم ، وفي الطريقة التي يتعلم بها . المسألة إذن في تيسير القواعد التي أشار اليها صديقنا الأستاذ الكبير الدكتور طه حسين لا تتعدى هذا النص المجمعي : « ان كل رأي يؤدي الى التغيير في الجوهر لا يؤبه له » ، إنما التيسير تيسير في الطرائق ، وتيسير في التعليم ، وهذا شيء مباح ، حصل منذ زمن ، وحصل من بعيد . جبر ضومط ، في بلادكم ، خليل السكاكيني

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

رحمة الله عليه في فلسطين وغيرهما أيضاً نظروا الى هذه الوجهة ، وأرادوا أن يحسنوا في المناهج ، وفي طرائق التدريس . وكان عندنا حفني ناصف من المحسنين في الطريقة أيضاً ، فقد حسّن الطريقة التي سارت عليها الكتب الأثرية المعلومة ، كالكفراوي والأشموني وغيرهما من الكتب ، حسّن حفني ناصف هذه الكتب وجعل القواعد مدارج مدارج . هذا الرأي في التحسين التربوي قيل وعمل به ، وما زال يقال ، وقد يقال في المستقبل . ان التحسين في الطريقة وفي الايضاح ، وفي الطرق التربوية أمر معقول ومقبول ، وهو ما أشار اليه بعض أصدقائنا في هذا المصر وفي هذه الأيام .

أما تشجيع الإنتاج الأدبي وهو جهد من جهود المجمع ففيه محاولة لالتماس الوسيلة للحض على التنافس في فنون القصة والشعر والنقد وتحقيق الكتب والتراجم وتشويق اللغة الفصحى السائغة والأدب السهل الرفيع . ولقد اتسع هذا التشجيع لأدباء العربية . ويقيم المجمع لهذه المناسبة حفلة سنوية تتهيأ لها دراسة نقدية ، لها أثرها في التوجيه والحث على الإجادة والتفوق باللغة العربية الميسرة السائغة .

أما ما يتعلق بعمل المجمع في المعجمات فهناك معجم ألفاظ القرآن الكريم ، وهو يتجه إلى استيعاب كل لفظ في كل آية ، وتوزيع الألفاظ على معانيها المرادة بطريقة علمية ميسرة ، وبشروح تتجاوب مع البلاغة القرآنية والذوق العربي الأصيل .

ولقد جعل المجمع في تقديره ، حين عني بهذا المعجم ، ان هذا الكتاب السماوي منارة متلألئة ، يهتدي بها العاملون لإرساء قواعد اللغة وإبقائها في سلامة وصحة . وانا أعتقد أيها السادة أن كل تيسير وكل أمر ينزع بنا بعيداً عن هذه المنارة المتلألئة التي نقدر جميعاً بايمان أنها كانت سبباً في نشر اللغة وفي ربطها بشعوب كبيرة ، كل تيسير ينأى بنا عن قواعد وأصول هذه المنارة لا يؤبه له ، ولا يعمل به .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

إنما نحن نستطيع أن نحوم ونحوط ، ولكن نرتكز وننظر دائماً الى هذه المنارة المتلألئة لكي نهتدي بها . نخرج منها قريباً من بلاغتها قريباً ، أو نبعد بعيداً ، ولكنها هي دائماً المثل ، المثال الرابض ، وهي المنبع الأم ، وهي القبلة الإمامية التي نأتم بها في كل شدة . هذا القرآن الذي ارتضينا أن يكون أماً للبلاغة ، أو أن يكون الأم البلاغية ، أو يكون الأم الحافظة للغة العربية ، ما دمنا نرتضي هذا ، فلا ضير علينا أن نحوم حول تيسير في الأسلوب ، تيسير في التعليم ، تيسير في البرامج ، في بعض الأبواب التي قيلت ، نسهل تفهيمها أو نحذفها عندما نرى أن الطالب الناشئ لا يفهمها مثلاً ، ولكن الإمام هو اللغة الفصحى التي تتمثل في القرآن الكريم .

بعد معجم القرآن هناك المعجم الوسيط للشادين والمبتدئين ، وهو من أعمال المجمع وعلى وشك النهاية لولا العزم على أن يزود بالصور والخرائط ، وبتاريخ بعض الأعلام . والمعجم يعد الآن للمطبعة . أما المعجم الكبير التاريخي فقد قدر المجمع ما يقتضيه وضعه من الجهد ، وطول الوقت ، فصدر منه جزء يبتدئ من حرف الألف الى حرف الألف مع الخاء وأخرج هذا الجزء على سبيل التجربة في أربعمائة صفحة ، وأرسل الى مختلف الهيئات العلمية لكي يسجلوا ما يبدو لهم من ملاحظات ، لينتفع بها العاملون بهذا المعجم لوجه الحق والصواب . وقد قام العمل بهذا المعجم على وجه دقيق يتلخص في جملة بنود لا حاجة إلى سردها الآن .

أما ما يتعلق بدراسة اللهجات فهذا جهد من جهود المجمع ، يهدف من ورائه الى تلقف الكثير من فصيح ما يجري في الهواء ، لكي يرد له اعتباره في التعامل اللغوي السليم .

أيها السادة ، إن مجمع مصر باتخاذ ما نوهت عنه من اتجاهات مختلفة ، يحفزه شعور بالواجب الشديد نحو لغة قوية طويلة العمر ، يكاد الدانق من حيويتها ، والمشاهد من طول عمرها ، أن يسماها بسمة الخلود .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ولقد اعترف النابهون في القديم والحديث بقيمة تلك اللغة ، فكان أبو الريحان البيروني الفارسي في القرن الحادي عشر يرى أن اللغة العربية أطوع للعلوم من الفارسية ، وكان يقول : لأن أُهجى باللغة العربية خير لي من أن أُمدَح بالفارسية .

ولقد ذكر زميلنا المرحوم أنطون الجميّل ، في محاضرة له في المجمع ما يلي ، قال : كان كارلوس الخامس المسمى شارلكان ، يقول : إني اذا خاطبت الله ضارعاً خاطبته بالاسبانية ، واذا خاطبت النساء متحبباً خاطبتهن بالإيطالية ، واذا خاطبت جوادي زاجراً خاطبته بالألمانية ، واذا خاطبت الناس عامة خاطبتهم بالفرنسية . فهل نغالي اذا قلنا إن هذا العاهل لو كان يعرف اللغة العربية لغنى بها عن غيرها في مواقفه الأربعة ؟ فقد جمعت فخامة اللفظ وجمال الأسلوب الى قوة الأداء وفصاحة التعبير .

ومع إقراري أيها السادة ، بصحة ما قيل في الإشادة بلغة الضاد ، فاني أرى لها مناعة كبرى تقيها من الفساد ، وطاقة قوية على تحمل ما يصدر عن الطبيعة البشرية وجبلة الانسان من معنوياته ، وتأملاته ، وخطراته ، وإشراقاته ، ولمحاته ، ولها طواعية فيما يتصل بعلاقة الانسان المادية ، واضطرابه بمسعاه ، وفي معترك الحياة . هي لغة تحسن التعبير عن الخاطر والضمير ، وعن الظاهر والمحسوس ، وليست لغة الضاد في مختلف أطوارها تسير على نهج غيرها من اللغات . ليست لغة الضاد تسير على نهج غيرها من اللغات ، فلها قانون خاص بها ...

ربما أرفع منصوباً أو أنصب مرفوعاً ، ربما كان هذا ، ولكن هل هذا يجعلني أضطرب في اصطلاح أو أضطرب في قياس ؟ ولكن هل هذا يبعدني بعداً كثيراً عن اللغة الأم الأصلية كما يبعد الفرنسية عن اللاتينية مثلاً ؟ . كلا أيها السادة ، ففي كل يوم يزداد التعليم ، وتزداد الثقافة ، وتزداد المجتمعات ، والاجتماعات التي تجمعها المجتمعات والندوات الأدبية ، وفي كل يوم تزداد الإذاعة التي تفتح في المتاجر والدكاكين والمقاهي وفي .. وفي .. الخ ..

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي كل يوم تملئ آذاننا باللغة العربية القريبة من اللغة الإماميـة الفصحى . أنا أعرف منذ ستين عاماً الرجل العامي : البوّاب ، والسوّاق أو من ماثل السوّاق ، سائق العربة مثلاً ... السوّاق زميل في هذا الزمن .. في هذا الزمن أصبحت لهجته وتراكيبه في الحديث معي أقرب وأعلى من لهجة زميله منذ خمسين عاماً ، مما يدل على أن اللغة تسير على خلاف مسير اللغات الأخرى . اللغات الأخرى كانت تتفكك من الأم لتسير بعيداً عنها . فلو بعث لاتيني اليوم لما فهم اللغة الفرنسية ، ولو أراد فرنسي أن يفهم كلام لاتيني بُعِث لما استطاع . بخلافنا نحن : فلو بعث عنترة وأراد أن يتغزل بعبلة في أبياته ، إذن لفهمنا جميعاً شعره ، حتى هذا السوقي الذي في الشارع .

أيها السادة : أطلت وآن لي أن أختتم . يقتضيني حديثي عن مجمع مصر واللغة أن أختتمه بكلمتين صغيرتين ، أولاهما الى المجمعيين ، والأخرى الى جامعة الدول العربية . أما المجمعيون الذين أجتمع بهم كل يوم ، من أبناء العروبة ، فهم صفوة هيأتهم الظروف لعمل علمي مشترك ، ويتصفون بما وسمتهم به مبررات تعيينهم في المجامع ، من مقدرة على العمل للاحتفاظ بسلامة اللغة ، على أن المجمعي المثالي لا يقف همه عند التفقه في اللغة والدأب في خدمتهـا ، وهو فوق ذلك يتحلى بحس خاص ينتزع به وجهته في العمل ، ومقومات سعيه في الحياة ، من سليقة عربية مؤصلة ، ناصعة ، كرحمة الله تتسع لأطيب الآمال ، ونقيـة كالصحراء التي تدني بنقائها النجوم المتألقة في الليل البهيم حين يستشعر به صاحبه رسالة لترفيع قومه وانعاش ثقافتهم ، وإمداد حديثهم ولغتهم بالمعاني المشرقة من كريم اللفظ العربي ، حس يذكي في نفسي نزعات وأريحية الاعتزاز ، فينسمع بالطيب من جرس لسانه وبيانه ، رنيناً مطرباً يشجي ، فيروق لمسمعه من لغته كل صوت ، وتشدو في أذنه كل نبرة من نبراتها ، حس يتبين به شتى الذخائر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغالية التي تضمنتها اللغة من طرائف الحكم والمعاني والمأثورات المشتتة في المنظوم وفي المنثور ، والمنطوية عليها المظان العامرة من تطاول الأعوام ، وتواصل القرون والأيام ، حس يتلمس به الكريم العاطر من المعاني البشرية العليا ، لينقلها في أجواء عروبته ، ويذيب في شخصيتها ، لتتكون منه ثقافة عربية تفرض نفسها على الناس ويفرضها الإنسان الراقي على نفسه ، وحينئذ يؤدي المجمع واجبه .

لقد أشرت فيما أسلفت من القول الى رغبتي في مساندة الحكومات العربية وعنايتها باللغة ومجامعها ، والى أملي في تآزر فعال بين مختلف السلطات والمصالح والهيئات الحكومية ، لاتخاذ أسباب التيسير حتى تنطلق اللغة النقية في ميادين أعمالها وتعاملها .

فاذا رأى جمع المجمعيين ذلك فيقيني أن خير موصل لهذه الرغبة الى حكوماتنا الرشيدة مسعى جامعة الدول العربية .

فليكن رجاؤنا اليها أن تنوب عنا في بسط ذلك التآزر المجدي ، والوسائل في ذلك متعددة ، وعسى أن تكون مجال بحث واستبصار فيما بعد .

أيها السادة ، إذا أدى المجمعيون رسالتهم على خير جهد ، وإذا استخدمت المجامع طاقتها من مذخور العلم والذوق والايمان والأريحية والمثالية ، وإذا توزعت الجهود وتناسقت ، واذا آزرت الحكومات والجماهير بالمزيد من التجاوب في خدمة لغة الضاد ، واذا تذكر كل من يتصدى لحركات النهوض أن عليه أن لا يفرط في معاني الهداية الأساسية من وصل الحاضر بالماضي ، ومن دعم القيم القديمة بالحديثة ، وبانتفاء كل حركة لا تشد إلى قطب ولا تنجذب إلى قرار ، إذا كان كل ذلك فاستبشروا وبشروا لغة العرب بالخلود ، وأيقنوا أن النصر من عند الله قريب .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net